

المطران نعمة الله ابي كرم ومعرّباته

مجموعة الردود على الخوارج - الحكمة الادبية

بقلم الاب توتل البسوي

كانت الترجمة على المهد الباسي الذهبي سبباً من اسباب التهضة الادبية التي مثمت العرب باحسن مؤلفات الشعوب مجاورتهم ، واطصهم اليونان ؛ وما زالت الترجمة الى يومنا داءياً من دواعي الانبعاث الادبي والعلمي فينا ، فلا يبرز اديب في مضمار التأليف ، سواء اكان ذلك في لبنان وسورية او في مصر ، الا وقد تشبع مما تلقته من الآداب الغربية ، او مما قرأه منها مباشرة في متنه ، او منقولاً في تعريبه . فللمعربين فضل مقدر على قدر منافع المؤلفات المنقولة . وان الكتب الفلسفية التي هذبت عقول ارقى بني البشر عرائناً في القرون الوسطى وفي ايامنا ، وهياتها الى بلوغ اوج النجاح في المعارف ، لمي انفع ما يذف الى قراء العربية ، ومن اشهرها في القرون احوالي مجموعة الردود على الخوارج للقديس توما اللاهوتي ؛ ومن احقها بان تمثل الفلسفة المدرسية المستحدثة كتب الكردينال مرسيه البلجيكي ، فالفضل كل الفضل لناقلها الى العربية .

(١) مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونية ١٩٣١ - ٥٤٧ ص متوسطة .

(٢) مطبعة دير سيدة المونات - جيل ١٩٣١ - ٤٧٢ ص متوسطة .

وعن قريب ستظهر سائر المخطوطات التي تركها المؤلف المرحوم في العالم الاجتماعي والمحاكمات الكنسية مع منتخبات اعتقادية من القديس توما الاكوييني ودأ على اليونان والارمن والعرب وغيرها، وذلك بعناية واعتماد ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني . وكل هذه الآثار التي ظهرت والتي ستظهر تطلب من حضرة الناشر المذكور ، في برمانا (لبنان) .

حياة الممرب — كنبه

قضى المطران نعمة الله نجه قبل ان يتم طبع الكتابين اللذين تورخينا وصفها، فاخذ حضرة ابن اخيه الاب مارون الي كرم اللبناي، الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحقى القانوني، على عاتقه مهمة نشرهما . وصدر مجموعة الردود بنيدة ذكر فيها تاريخ اسرة الي كرم، وترجم لسه .

ولد، رحمه الله، في ١٢ كانون الثاني ١٨٥١ . ونشأ في برمانا، ودرس في اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير (١٨٦٤) وسيم كاهناً سنة ١٨٧٦ . وعلم اللاتينية والعربية في مدرسة الآباء المذكورين، وقد نقلوها الي بيروت سنة ١٨٧٥، وعاون في تحرير «البشير»، مستفلاً في قلم التعريب، فترجم رسالة البابا لاون الثالث عشر الشهيرة في مستحدثات الزمان (*Rerum Novarum*) او في مشكل العمال (١٨٩٣) . ثم انتقل الى مدرسة قرنة شهوان فلم فيها مدة سبع سنوات؛ ومنها الى دير مار شيا القريب من برمانا، فمدرسة الآباء الكبوشيين في عبيه، فمدرسة قرنة شهوان للمرة الثانية، فمدرسة الآباء الحليين الملكيين في صربا. الى ان أمبته خبرته في التلم واحتمكاكه بالناس الى رئاسة المدرسة المارونية في رومة، فرحل الى المدينة الابدية سنة ١٩٠٦، واقام فيها سائر ايام حياته الا اشهرأ مدودة، زار في غضوننا لبنان (١٩٠٤) وفرنة (١٩٢٩) . ثم عاد الى لبنان في صيف ١٩٣٠ . وما ان اقام فيه مدة وجيزة حتى اشمر بانحطاط قواه وقدم اجله . فتأهب للقاء ربه وانتقل الى رحته تعالى . وكان قد رقي الى درجة الاسقف في ٢٢ حزيران من السنة ١٩١٣، فتخلي عن الرئاسة وانتطم الى الكتابة والتأليف . واليك لائحة مؤلفاته المطبوعة، وكلها مرجعها الى العلوم النظرية :

ذخيرة الالباب في علم الكتاب [المقدس] (١٨٨٤)

قسطاس الاحكام (١٩٠٠) ٢ اجزاء

افلسفة النظرية للكردينال سربيه ٧ اجزاء، ومنها الاخير « في الحقوق » (١٩٣١)

مجموعة الردود على الحوارج (١٩٣١) جز ١

كتاب النجاة لابن سينا (مترجم الى اللاتينية) جز ١

وله ايضاً تأليف اخرى ستظهر بالطبع اشهرها علم الاجتماع ، والمحاكمات الكنسية .

مجموعة الردود على الحوارج

ان مهمة ترجمة كتب القديس توما اللاهوتي ليست بالامر المين ، والافرنسيون ، على ما لديهم من الوسائل الفائقة ، من مرونة اللسة ، ووفرة الالفاظ الفلسفية ، واساليب التماير النظرية الدقيقة في ريشة توفد القرائح وتشجيع المؤلفين على الاجادة والتأليف ، الافرنسيون احجموا ، حتى اليوم ، عن نقل مجموعة الردود الى لغتهم ومنهم المدربون على العلوم النظرية ، المتضامون من الدروس الفلسفية ، من يستطيعون فك التماز الاصطلاح الفلسفي المدرسي والكشف على مفضات المطاني .

على ان اقبال النثة الراقية من المثقفين في فرنسة على الدروس الفلسفية وتشوقها الى قراءة كتب القديس توما استحث بعض اساقفة اللمقة الكاثوليكين على نقل الخلاصة اللاهوتية الكبرى الى لغتهم . ولعلمهم ينقلون اليها ايضاً مجموعة الردود على الحوارج .

فاذا تحقق ما تقدم سالنا انفسنا قائلين : اين بلغ قراء العربية من الاستعداد لقراءة القديس توما ؟ اذا استثنينا بعض الكهنة الشرقيين ، لا نكاد نرى من قدروا ترجمة « الخلاصة » للسيد بولس عواد حق قدرهما . على ان الحركة الفكرية في يومنا غير ما كانت عليه منذ ربع جيل ، وانصراف المهتم الى الفلسفة في المدارس الثانوية مدعاة الى التفاؤل في حمن مستقبل الكتب العلمية النظرية .

وهما يكن من الامر فقد ازدانت خزانة الاداب العربية بتحفة تباري اعز مؤلفات الفلاسفة العرب افكاراً وفحوى . بفضل المحرم المطران نعمة الله الي كرم .

ان مجموعة الردود على الحوارج تتناول البحث في كل ما يتنى للمقل البشري النظر فيه عن الله باعتباره في ذاته (الكتاب الاول) واعتبار صدور

الخلاص عنه (الكتاب الثاني) وفي انتظام المخلوقات الى الله بكونه غايتها
(الكتاب الثالث والرابع) .

ومن هم الحوارج الذين رد عليهم القديس توما ؟ قد يجازر عددهم المئة
ومن جملتهم الفلاسفة العرب . وقد احصيت الاقوال والروايات المنسوبة اليهم
الواردة في الكتاب ، فاذا فيها اسم مشاهير فلاسفة العرب يأتي كما يلي : ابن
رشد : ٥٣ مرة ؛ ابن طفيل : مرة ؛ ابن غبريل : مرة ؛ ابن سينا : ٢٧ مرة ، الفزالي :
مرتين .

وقد يكون ابن رشد اول الخصوم الذين رد عليهم القديس توما . لا
كان المظلم المسيحي آلي على نفسه ألا يخالف الفيلسوف العربي طراً ، ومثله ابن
رشد عند القديس توما عظيمة ، وهو في نظره شارح ارسطو الاعظم . لكنه
آخذه بذمابه في تفسير ارسطو مذاهب الضلال فيما عمن مبادئ التلميم
الكاثوليكي ؛ او بالاحرى عاب على الرشدين ، وهم الفلاسفة المدرسيون
الافرنج المحتجون باسم ابن رشد ، اساءة مطالعتهم المشاكل الفلسفية الكبرى ،
حتى وضعوا موضع الشك امر وجود الله ، وخلود النفس ، والثواب والعقاب ،
وتقضوا مبادئ العقل السليم . على هؤلاء . ايضاً رد القديس توما .

هذا وقد عرب المطران المرحوم ربيع « مجموعة الردود » الاول ؛ اما
الارباع الثلاثة الباقية فهي بحاجة الى معرب آخر ، فمضى ان يظهر في الناشئة
الاكليزيكية كاتب جدير بان يوفق الى تمة ذلك المشروع الخطير .

الحكمة الادبية : فرعها الاول في الحقوق

هو الجزء السابع من مجموعة الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه ، هذا
فيه العرب حذوه في تعريب الردود وذيله تذييله الردود بجواش . ونظرات
مفيدة ؛ لكن هذا الجزء دون الردود اتقاناً في الطبع ورونقاً في الورق .

الكردينال مرسيه اشهر من ان نعرفه الى القراء . ولد سنة ١٨٥١ في
ابريشة مالين في بلجيكة ، نبع بالعلم والفضيلة ، وصار كـردينالاً سنة ١٩٠٢
ووقف ايام الحرب الكبرى تجاء اعداء بلاده وقفة الاجبار معلني الكنيـة



المثلث الرحمت

المطران نعمة الله ابي كرم الماروني

(١٨٥١ - ١٩٣١)

الاقدمين ؛ وهو قطب من اقطاب اللاهوت الكاثوليكي وخير ممثل للفلسفة المدرسية المستحدثة . مؤلفاته عديدة اشهرها كتاب الفلسفة النظرية باجزائه السبعة ، وقد قرب منها من قراء العربية السيد نعمة الله ابي كرم ، وهوذا بين يدينا الكتاب الاخير وعنوانه : الحكمة الادبية بوجه الخصوص : فرعها الاول في الحقوق ، وفيه « قواعد الحق الطبيعي التي ينبغي عليها ما علينا وما لنا من الواجبات والحقوق نحو التريب ونحو الاجتماع بوجه الاجمال ، مستخلصة من الشريعة الطبيعية استخلاصاً منطقياً »

قلنا سابقاً ان باكرة اعمال المرب كانت رسالة البابا لاون الثالث عشر في شأن المال ، وها ان هذا الكتاب الاخير يردنا بموضوعه الى اول مؤلف دمجته . يراعة المرب ، لان الشكل الاجتماعي الذي عاجله لاون الثالث عشر منذ اربعين عاماً برسائله الهامة وعاد عليه بيوس الحادي عشر في هذا العام ايضاً تجديداً لتأثيره وتنفيذه في النفوس ، انما جله مستنبط من التعليم الفلسفي القويم المنجلي باجلى تبيان في كتاب الحقوق هذا . فقد ظهر اذن في اوانه ، وفيه مع بسط مبادئ الفلسفة الكاثوليكية تفنيد مذاهب الشيوعية والاشتراكية وغيرها من الاذاليل المعصرة الماسة بحياة المجتمع المادية والادبية .

يتضح بما تقدم ان الاسقف الصالح لم يأل جهداً في فائدة ابنا . ملته ولقته . رحمه الله ، ونفعنا بملسه ، وجمل الكثيرين منا يسرون على آثاره .

